مغامرات جحه وشركاه

قصص ومغامرات بوليسية فكاهية

٣ الثور المسحور

Looloo
www.dvd4arab.com

تأليف
مجدى صابر

الناشر
صيدلاية المعدودة

فالأحداث كلها تدور فى قالب كوميدى طريف لسنا نشك أنه سيعجبك جداً - عزيزى القارىء - وستضحك وتقهقه وأنت تقرأ أحداث هذه القصة وغيرها من قصص هذه السلسلة الجديدة .. مع أبطالك الجدد .

مرة أخرى نقول إنك لن تجد سلسلة مشابهة لتلك السلسلة الجديدة .. فالكوميديا من أصعب أساليب الكتابة .. وبسبب ذلك يهرب أغلب الكتاب والمؤلفين من كتابتها ..

وقد عانينا من أجل كتابة وإصدار هذه المجموعة الجديدة .. ونرجو أن تحوز إعجابك وترسم الابتسامة والسرور على وجهك .. مع محبتنا .

* * *

من هم أبطال هذه السلسلة الجديدة ؟

إنهم ثلاثة أولاد فى مثل عمرك تقريباً .. يعيشون فى قرية صغيرة بالأقصر .. حيث تحيط بهم الآثار المصرية القديمة من كل مكان .. معبد الأقصر .. معبد الكرنك .. طريق الكباش .. الدير البحرى .. وادى الملوك .. وبالإضافة إلى أبطالنا .. ستجد أبطالاً آخرين .. عمدة القرية .. وجدات الأطفال .. وخفراء الحراسة .. والأستاذ « زلطة » المدرس .. وأبطالاً آخرين عديدين .

جمعة ..

جده عمدة القرية .. وعلى يديه ينال عقاباً مستمراً .. والداه متوفيان .. لايرتدى غير الجلباب .. أذناه طويلتان كالأرانب .. وهو ساعة الخطر يجرى أكثر سرعة من الأرانب نفسها .. ولكنه طيب القلب جداً .. وذكاؤه محدود .. ولكن لأنه الأكبر سناً ، فقد صار هو رئيس الفريق .. وتسمى الفريق باسمه .

علاء ..

هو الراوى .. وعلى لسانه نستمع إلى أحداث المغامرات .. يعيش مع جدته العجوز .. والداه يعملان فى الخارج .. شديد الشقاوة .. جرىء .. يتحايل على الخروج من المآزق العديدة التى يقع فيها مع صديقيه .

سالم ..

وسيم .. أنيق جداً .. والده مفتش آثار بالقاهرة وهو يعيش مع والدته وأخته .. نكى جداً .. ولديه معلومات عامة ممتازة .. وهو دائماً يحد من اندفاع صديقيه .

سلمى ..

هى أخت سالم .. تصغره بعامين فهى فى التاسعة .. رقيقة جداً .. تميل إلى تدبير المقالب للآخرين .. ولكنها برغم ذلك هادئة .. وحادة الذكاء .

اللعب تحت المطر

حصلنا على أجازة منتصف العام ...

والأجازة هى الأجازة حتى لو كنا قد نلنا أنا و « جمعة » درجات متوسطة فى عدد قليل من المواد مثل العربى والحساب والعلوم والمواد الاجتماعية والتاريخ والجغرافيا .. وفى الحقيقة كانت تقديراتنا عالية فى مادة وحيدة .. الألعاب الرياضية ، وهى مادة – كما تعرفون – لا تمنح عليها درجات !

أما « سالم » فكانت درجاته عالية بدرجة مدهشة فى كل المواد جعلتنا – أنا و « جمعة » طبعاً – نتصور أنه ربما يستذكر دروسه وهو نائم .. إذ أننا كنا

نقضى الوقت معاً ونلعب معاً وننام فى وقت واحد - ثم يحصل « سالم » على درجات عالية دائماً .. على حين تتأرجح درجاتنا صعوداً وهبوطاً ما بين الذيل والمنتصف ..

كنا نحسد « سالم » على ذلك .. إذ ربما كان يأتيه إلهام خاص يحط عليه وقت الامتحان كما يحدث للشعراء ، عندما يتقمصهم شيطان الشعر فيكتبون قصائد مكونة من عشرة آلاف بيت ، وعندما يغادرهم هذا الشيطان العجيب يجدون أنفسهم عاجزين حتى عن كتابة أسمائهم !

كان المفروض أن نقضى أوقاتنا فى المذاكرة استعداداً للنصف الآخر من العام ، ولكن - وكما يقول القول المأثور الذى ابتدعناه - فإن الأجازة هى الأجازة !

كان هذا هو شعارنا .. ومن ثم أخفينا كتبنا وأقلامنا بحيث لا تقع عليها أعيننا قبل أسبوعين هى مدة الأجازة .. وخاصة أنه كان من حقنا الحصول على أجازة بعد أن تسببنا فى القبض على الغفير « شنبو »

اللص ، والذى كان يسرق الآثار الفرعونية هو وكلبه المجرم « شيبوب » ، وانتهى الأمر بتكريمنا من المحافظ فى تلك المناسبة التى ارتدى لها العمدة حذاءه ذا الرقبة الطويلة خصيصاً !

وكان أول يوم فى أجازة منتصف العام لحسن حظنا يوماً ممطراً كالسيل ..

كنا قد قررنا من قبل أن نمارس كافة أنواع اللعب خلال الأجازة ، لعب الكرة والحجلة وعسكر وحرامية ، وغيرها من الألعاب التى اشتقنا لها وخططنا لها كثيراً أثناء الدراسة .

ولكنكم تعرفون - ولا شك - أنه عندما تمطر السماء فإن كل الألعاب تتأجل عدا لعبة واحدة .. اللعب تحت المطر .

إن المطر لا يسقط كل يوم ، وسقوطه هو مناسبة مبهجة مثل العيد تماماً .. وعلى هذا اندفعنا أنا و « جمعة » و « سالم » تحت المطر قافزين

صارخين مثل جماعة شاردة من البط فى الصحراء ، عثرت على بركة ماء ..

وفى البداية كنا حريصين على ألا نلوث أنفسنا ، أقصد أن نكتفى بماء المطر ونبتعد عن تلويث أنفسنا بماء البرك والطين الراكد ، والذى تحوّل بفعل المطر إلى بحيرة عائمة ، ربما تنبىء عن احتوائها على بترول لم يُكشف بعد !

أخذنا نقفز تحت المطر منشدين بكل الأغنيات المعروفة لنا ، وعندما انتهينا من الأغانى شرعنا نتلو القصائد المدرسية ثم المعلقات .. وهكذا إلى أن انتهينا منها جميعاً فكان علينا أن نبدأ فى لعبة أخرى تحت المطر المبهج .

أخذنا نقلد الحيوانات .. وقلدت صوت صياح الديكة ونعيق الغربان .. وقلد « سالم » صوت الأبقار والخراف ، أما « جمعة » فوقف على أربع وأخذ يقلد نهيق الحمار فى إبداع ما بعده إبداع .

وإحقاقاً للحق فقد كان صوته مؤثراً شجياً يكاد يقطع نياط القلب ، وذكرنى بصوت مغنى سمعته منبعثاً من شريط كاسيت فى مقهى قريتنا ، وكان اسمه - الشريط لا المطرب - « حمار حبيبى رفسنى » !

وكان يمكن وقتها أن نقترح على « جمعة » أن يسجل شريطاً بهذا الغناء المؤثر ، ومن المؤكد أنه سيذاع من مقهى قريتنا ، ومن ثم ينتشر فى المقاهى الأخرى وفى كل أنحاء البلاد ، ويحطم الرقم القياسى فى المبيعات ، فإنهم لن يكتشفوا موهبة غنائية مثل « جمعة » كل يوم .

ولكننا رأينا تأجيل ذلك الاقتراح لوقت آخر وانطلقنا أنا و « سالم » لننضم إلى « جمعة » ، ومن ثم تصاعدت أنغامنا مختلطة بأصوات المطر لنقلد أصوات الحمير ثم الكلاب فالغربان ، فالحمير فالكلاب وهكذا دواليك ، فى كورال جماعى كأننا نشكر المطر .. وكان يمكن أن نظل كذلك إلى أن يكف المطر عن الهطول حتى لو استمر يومين ، لولا أن الأمر أخذ مساراً

آخر .. إذ عندما أمعن « جمعة » فى التقليد - وقد ركبه شيطان الطرب وتمكّن منه تماماً - لم يكتف بتقليد أصوات الحمير ، بل حاول أن يكون مُعبراً كأحسن ما يكون التعبير الغنائى ، فمد قدميه ورفسنى فجأة كما تفعل كل الحمير المشاكسة الغبية !

ووجدت نفسى أسقط وسط أوحال الطين والوسخ ، وانغرز وجهى فى قاع البركة ، وعندما نهضت كان الطين يغطى وجهى ، وركبنى غضب شديد لذلك. فاندفعت إلى « جمعة » ورفسته بشدة ، فاختل توازنه وسقط فى الطين أيضاً وانغرز وجهه فيه . وصاح « سالم » بدهشة يسألنا ماذا نفعل ، وكان هذا غباء منه بلا شك إذ ذكرنى بوجوده ، فجذبته هو الآخر من سترته .. وهكذا صرنا ثلاثتنا فى قلب بركة الطين .

كانت لحظات لا تنسى ، فيها كل المتعة ، فلا شىء يعادل متعة أن تسقط فى بركة طين ، وتلهو مثل كلب لا يخشى لوم جدته أو والدته !

لم يكن هناك فائدة فى اللوم فما حدث قد حدث ،

وسننال عقاباً سواء خرجنا من الطين حالاً أم بعد أسبوع ، وطردنا قلقنا بسرعة ، وركبتنا سعادة كبيرة فأخذنا نقفز فى الطين ونقذف بعضنا بقطع منه فى تحكيمات دقيقة - كما يفعل قائدو المدفعية المهرة - وكانت النتيجة أن لم يعد فينا شبر لم يتلوث ويتحول إلى اللون الأسود الذى لم تفلح كل الأمطار فى غسله وتنظيفه .

وعند عودتنا إلى منازلنا كنا مثل ثلاثة كلاب تخرج من جوف بركة طين ، بعد أن رقدت فيها ألف عام .

- آتسى .. عطست فى وجه « جمعة » .

- آتسى .. عطس « جمعة » فى وجهى .

- آتسى .. عطس « سالم » فى وجهينا !

وأخذنا نرتجف ثلاثتنا كما لو كنا واقفين وسط ثلوج القطب الشمالى أو الجنوبى .

وأنتم لا شك قد خمنتم ما حدث بعدها .

مأساة حقيقية .. أسبوع كامل ونحن راقدون فى

فراشنا نعطس ونكح ، وقد تغطى كل منا بخمس أو ست بطاطين ونحن لا نقدر على تحريك أذرعتنا من شدة المرض .

وقال الطبيب أننا أصبنا ببرد شديد انقلب إلى التهاب رئوى حاد يستلزم الراحة فى الفراش لمدة أسبوع .

يا للمأساة ، قضينا الأجازة فى الفراش بسبب برد تافه .. ونحن الذين خططنا آلاف الخطط لقضاء الأجازة ، فإذا بها كلها تتبخر بسبب اندماج « جمعة » فى الغناء ؟

وأنا شخصياً أحتمل كل شىء فى العالم ولا أحتمل مذاق الدواء ، أى نوع من الدواء ، ولكن للضرورة أحكام كما يقولون .. وأنا لا أحب أن أموت فى هذه السن المبكرة قبل أن أصير قبطانا ، فيُكتب على قبرى عبارة تقول « مات فى الحادية عشرة من عمره بسبب لهوه فى الطين تحت المطر .. كان يخطط لأن يكون قبطانا ولكن مات قبلها لعدم تناوله الدواء » !

ولهذا ، لهذا فقط اضطررت لأخذ الدواء .. وكان

هذا حال « سالم » أيضاً .. أما « جمعة » فكان يتناول الدواء كما لو كان يأكل الآيس كريم !

بعد أسبوع ، وقد انقضت نصف الأجازة ، سمحت لى جدتى بالخروج . فذهبت إلى منزل « سالم » ، ووجدته جالساً فى الحديقة متدثراً ببطانيتين وهو يحتسى شاياً ساخناً كانت « سلمى » تصبه له ..

اقتربت وحييتهما فنظرت « سلمى » نحوى مقطّبة – وكانت تبدو جميلة فى أى صورة حتى وهى مقطّبة – وقالت تلومنى : أنت السبب .. لولاك ما خرج « سالم » فى المطر وأصيب بالبرد .

ولكنى لم أرد عليها ، فإنها لم تجرب متعة اللهو تحت المطر وفى البرك الراكدة ، ومن لم يُجرب لا يعرف ، ومن ثم فهو يلوم ..

يوماً ما سندعوها للهو تحت المطر .. ووقتها بلا شك سوف تعذرنا !

جلست مع « سالم » فى الشمس المشمسة الدافئة

ولحق بنا « جمعة » بعد دقائق قليلة ، وكانت أذناه الطويلتان محمرتين بشدة كما لو أنه قضى ساعتين فى دعكهما لإزالة ما كان عليهما من وسخ .

قلت بحزن : انقضى أسبوع من الأجازة ونحن راقدون فى فراشنا .

قال « جمعة » بأمل : ولكن تبقى أسبوع آخر .

قلت بنفس الحزن : وماذا يمكن أن نفعل فى أسبوع واحد .. إن الأجازة الحقيقية لا يمكن أن تكون أقل من أسبوعين ، هذا أمر معروف !

قال « سالم » : نستطيع أن نقضى الأسبوع المقبل كله فى لعب الكرة .

– لقد زهقت من لعب الكرة . أجبته أنا .

– نلعب الحجلة ؟

– إنها لعبة البنات .

– نقلد الحيوانات ؟

– لا أحب أن يرفسنى « جمعة » مرة أخرى .

وتوالت الاقتراحات المرفوضة .. واكتشفنا أننا قد مللنا من كل الألعاب التى مارسناها من قبل ، وأن رقادنا فى الفراش أسبوعاً كاملاً لا يمكن تعويضه بألعاب صغيرة ، مثل لعب الكرة أو تقليد الأبقار . كان الأمر يتطلب اقتراحاً مبتكراً . لعبة لم يلعبها أحد من قبل .

وقدحنا أذهاننا فى التفكير ، ولكن المسألة لم تكن بمثل هذه البساطة ، إذ أن الألعاب المبتكرة تتطلب دائماً مجهوداً ذهنياً شاقاً ، وهو أمر يعرفه كل الصغار .

واقترح « سالم » : ما رأيكما فى مواصلة البحث عن كنزنا ؟

وكنا قد تناسينا أمر الكنز تماماً خلال الفترة السابقة ، وقد أجلنا البحث عنه إلى الأجازة الصيفية ، ولذلك اعترضت : إن العثور على كنزنا يحتاج تفرغاً تاماً لعدة أسابيع .. وهو أمر سيُغضب الأستاذ « زلطة » بلا شك لأننا لن نعرف مكان جزر « الكناريا » إذا سألنا عنها مرة أخرى .

هز « جمعة » و « سالم » رأسيهما موافقين ،

وتخلص « سالم » من بطانيته – وكانت تعيقه عن التفكير الصحيح فيما يبدو – وجلسنا ثلاثتنا مقطبين منشغلين بالتفكير الشديد .. إنها معضلة حقيقية أن تبحث عما يشغلك فى الأجازة ما دمت لن تبحث عن كنز أو تلعب الحجلة أو الكرة !

وصاح « جمعة » فجأة – وكنت قد جلست على مسافة منه كى أأمن من رفساته – صاح « جمعة » قائلاً : لدىَّ فكرة رائعة .. ما رأيكما فى لعب الحجلة أمام معبد « حتشبسوت » فى « الدير البحرى » ؟

رمقته بسخط وقلت : وما الفارق فى لعب الحجلة هنا أو أمام معبد « حتشبسوت » ثم إن الفراعنة لا يحبون من يلعب الحجلة أمام معابدهم وإلا أصابوهم بلعنتهم ، فتنقلب أنت حماراً حقيقياً !

وعدنا للتفكير ثانية فى كيفية قضاء ما تبقى من أجازة .

وفجأة برقت اللعبة فى ذهنى – تماماً مثلما حدث للعباقرة القدامى – برقت الفكرة كما لو كانت وحياً

أو إلهاماً مما يقطع بأننى سأكون قبطاناً بارعاً عندما أكبر .

وصحت فى « جمعة » و « سالم » : ما رأيكما فى لعبة مصارعة الثيران ؟

حملق الاثنان فىَّ بفم فاغر ، وتساءل « سالم » بدهشة عظيمة : مصارعة الثيران ؟

مصارعة الثيران .. بمشابك الغسيل!!

أكدت لهما بسرعة : نعم مصارعة الثيران .. ألم تشاهدا مصارعة للثيران من قبل ؟

هزَّ الاثنان رأسيهما نافيين .

قلت شارحاً : إنها لعبة يقوم فيها شخص يسمى « الميتادور » بمصارعة ثور قوى يتغلب عليه فى النهاية .. إنها رياضة أسبانية شهيرة ومن العار ألا تعرفاها .

حملق « جمعة » فىَّ بدهشة قائلاً : وهل يتماسك الثور والمصارع ويتصارعان سوياً .. هذا عجيب جداً !

أجبته ناهراً : أيها الأحمق .. وهل للثيران أيدى مثلنا لتتصارع بها .. إن للثيران قروناً للنطح لا أيدى للملاكمة .. إن أسلوب مصارعة الثيران يختلف عن المصارعة العادية ، فالمصارع يمسك براية حمراء – لا بد أن تكون حمراء ولا أدرى لماذا – ثم يشاغل الثور بها ، وعندئذ يهيج الثور ويُثار ويحاول أن ينطح الراية بقرنيه ، ومهمة المصارع هى ألا يجعل الثور ينطح الراية بقرنيه !

– ولماذا ينطح الثور الراية الحمراء ؟ سألنى « سالم » مدهوشاً .

هززت كتفى : لا أدرى .. هذا أمر يخص الثيران وحدها ولا شأن لنا به .

وسألنى « جمعة » : وكيف تنتهى المباراة .. أقصد لمن تكون الغلبة فى النهاية ؟

– للمصارع طبعاً .. إن الثور يُهزم فى كل مرة ، والثيران تعرف ذلك طبعاً حتى من قبل اللعب .. وهذا

من قواعد المباراة أيضاً .. أن ينهزم الثور فى النهاية وإلا كانت المباراة باطلة !

قال « جمعة » معترضاً : ولنفرض أن الثور رفض الاعتراف بالهزيمة فما العمل ؟

أجبته : إن الأمر ليس بيد الثور ، فالفارس أو المصارع يغرز السهام فى جسد ورقبة الثور الذى تسيل دماؤه إلى أن يخور ويسقط صريعاً ، وهكذا يُعتبر الثور مهزوماً .. إنها لعبة سهلة تماماً كما ترياق ، فليس أسهل من غرز السهام فى جسد الثور ورقبته .

اعترض « سالم » : ومن أين سنأتى بالسهام التى سنغرزها فى بدن الثور لنهزمه ؟

– لا حاجة لنا للسهام .. يكفى أن نأتى ببعض مشابك الغسيل !

– مشابك الغسيل ؟ تساءل « جمعة » و « سالم » فى صوت واحد .

أجبتهما بصبر شارحاً فكرتى : نعم .. وعندما نصارع الثور نقوم « بشبك » المشابك فوق جلده .. ومن ثم نهزمه .

– ولكن الثور لن يموت فى هذه الحالة .

– ومن ثم لن يقتنع بهزيمته !

اعترض الاثنان ، فأجبتهما : إن الثور عندما يجدنا وقد شبكنا كل مشابك الغسيل فى جسده فسيعترف بالهزيمة حتماً .. إنها الرياضة .. لا بد من فائز ومهزوم ، فهذه هى الروح الرياضية الحقة ، والثور لن يجادل فى هذه المسألة لأنه ثور رياضى .. إنها تسلية رائعة ولا بد أن نقوم بها ، ولا شك أنه بعدها سوف تنتشر مصارعة الثيران فى « مصر » كلها مثل كرة القدم تماماً ، سيذكر الجميع أننا أول من أدخلنا تلك الرياضة إلى البلاد .

تطلع « سالم » نحوى مفكراً وقد أعجبته الفكرة ، وراح « جمعة » يحك مؤخرة رأسه كعادته عندما يستغرق فى التفكير ، إذ يبدو أن خلايا التفكير تتركز

فى قفاه ، ومن ثم تعمل أصابعه على تنشيطها بالهرش المستمر . وقال « جمعة » بعد لحظة وقد كفَّ عن حك قفاه : ولكن من أين سنأتى بالثور الذى سنصارعه ؟

تطلعت نحو « جمعة » بدهشة . اكتشفت أننا نسينا أهم شىء فى المسألة كلها .. من أين سنأتى بالثور الذى سنصارعه ونهزمه ؟

قال « سالم » : لا توجد فى قريتنا ثيران .

وكان ذلك حقيقياً .. إذ يبدو وكأنها انقرضت من قريتنا منذ زمن بعيد !

وتساءل « جمعة » بأمل : ألا يمكن أن نستعيض عن الثور بأى شىء آخر ؟

احتججت بشدة : ماذا ؟ .. هل ستظن أننا سنصارع كلباً أو بقرة ؟ ..إن اللعبة اسمها « مصارعة الثيران » لا « مصارعة الكلاب أو الأبقار » .

وشملتنا حيرة حقيقية .. وفجأة ، وكما يحدث فى الأحلام أو الأفلام ، فجأة مرَّ من أمامنا –

ويا للعجب – ثور حقيقى ، ثور مثل كل ثيران هذا العالم التى لم تنقرض بعد !

حملقنا فى بعضنا ذاهلين .. كان الأمر أشبه بالسحر ، وكأن السماء استجابت لدعواتنا فأمطرت ثوراً بالرغم من أننا لم نكن قد بدأنا الدعاء بعد ، وبالرغم من صفاء السماء وعدم وجود سحب فى أى مكان !

قلت ذاهلاً : انظروا .. إنه ثور .. ثور حقيقى .

– وله قرنان . أكمل « سالم » مبهوراً .

– وهو قوى كالثور ! قال « جمعة » وهو يحك قفاه فى غباء شديد .

وكان الثور يمر أمامنا فى الطريق خارج منزل « سالم » مسحوباً من رقبته بحبل غليظ ، تجذبه سيدة عجوز تدعى « سليمة » كنا نعرفها حق المعرفة ، ونخشاها أيضاً ، لا نحن فقط بل كل أهل قريتنا ، إذ كانت تعيش عيشة غريبة منطوية فى منزل خشبى كئيب الشكل يقع على أطراف القرية .. وكانت

كانت « سليمة » هى ساحرة قريتنا

« سليمة » هذه عجوزاً عجفاء تبدو وكأنها قد تعدت المائتى عام (بالرغم من أن إنساناً لا يعيش حتى يبلغ هذا السن) !

ولكنها كانت تقول عن نفسها إن عمرها يزيد على مائة وخمسين عاماً ، ولم يستطع أحد تكذيبها فلم يكن لديها شهادة ميلاد ، أو بطاقة شخصية .. وكانت ذات ظهر محنى قليلاً ، وشعر أشيب يتناثر حول كتفيها فى مشهد مخيف ، حتى كأنها ساحرة من ساحرات الزمن الماضى .. وكان وجهها مغضّناً بشدة يشبه كرة مفرّغة من الهواء ، ولها أنف حاد كبير ، وفم لا أسنان فيه ، وإن كان هذا لا يقطع بأنها لا تستطيع أن تعض مثلاً ! كما كانت عيناها حادتين مخيفتين .. وكان الجميع يندهشون ويتساءلون من أين تعيش تلك العجوز وتأتى بقوت يومها ، وما الذى تفعله طوال يومها داخل منزلها الذى لا تغادره إلا فى الأحوال النادرة ؟

وكنا دائماً فى ألعابنا أو سيرنا نتحاشى اللعب أو المرور بجوار منزلها ، فقد كان البعض يقولون

عنها أنها ساحرة ، وإنها استطاعت أن تسخط حماراً فتحوله إلى كلب يقوم بخدمتها ، قبل أن تغضب عليه فسخطته ثانية إلى صرصار .. وإن لديها من الوصفات السحرية ما يمكنها من أن تجعل النيل يفيض بالماء فيغرق القرية ، أو تستدعى ريحاً عاصفة تدمرها ، ومن ثم كان الجميع يتجنبون شرها وأذاها . وبالطبع تحاشيناها ثلاثتنا كذلك ، فمادام فى استطاعتها جلب عاصفة أو فيضان يدمران القرية ، فما أسهل عليها أن تجعلنا نرسب فى امتحاناتنا مهما ذاكرنا دروسنا ، ولذلك تجنبناها تماماً حتى كنا نتحاشى الحديث ، مجرد الحديث عنها .

ولكن ما العمل والثور الوحيد فى قريتنا يسير طائعاً مختاراً خلفها ؟

ظللنا نراقبها وثورها بعيون واسعة مبهورة حتى اختفت عن أنظارنا فالتفتنا إلى بعضنا ذاهلين .

– يالها من مصادفة مذهلة .. كنا نتمنى ثورا وفجأة تنشق الأرض عنه فى الحال . قالها « سالم » مذهولاً .

قلت وقلبى يدق بعنف : لا شك أن هذه العجوز « سليمة » قرأت أفكارنا بقدراتها السحرية ، فجاءت بثورها ومرت من أمامنا لتغيظنا بامتلاكها الثور الوحيد فى قريتنا !

تساءل « جمعة » وأذناه محمرتان كأنهما ستطلقان شرراً : ولكن من أين أتت بالثور ؟

أجبته : ومن أين تأتى الساحرات بالثيران .. لقد حصلت عليه بالسحر طبعاً ، مجرد تمتمات وتعاويذ على أى كلب أو حمار أو حتى بقرة فتنقلب ثوراً .. هذا أمر سهل تماماً لأى ساحر !!

تساءل « سالم » : ولكن أين هى ذاهبة بالثور ؟

وكان هذا ما نجهله جميعاً . ولكن « جمعة » قال بعد لحظة بعينين ضيقتين : لقد تذكرت شيئاً .. إن جدى العمدة كان يقول أمس بأن « سليمة » سوف تأتيه بثور لبقراته ، وأنه سيستأجره منها مدة يومين بجنيهين .

تساءلت بدهشة : ولماذا يحتاج العمدة إلى ثور لأبقاره ويدفع مقابل ذلك جنيهين كاملين ؟

أجاب « سالم » : إن وجود الثور ضرورى لكى تنجب الأبقار عجولاً صغيرة .

قلت بنفس الدهشة : لست أفهم .. وما حاجة الأبقار إلى الثيران لتنجب عجولاً ، لماذا لا تنجب عجولاً بنفسها ؟

قال « جمعة » : هذا ثور سحرى .. إنه قادر على أن يجعل الحمير تنجب عجولاً وليست الأبقار فقط .. هذه مسألة مفهومة تماماً وإلا ما دفع جدى جنيهين إلى « سليمة » !

– إذن فتلك العجوز الساحرة ذاهبة بالثور إلى جدك العمدة ؟ سألت « جمعة » بلهجة ذات مغزى خاصة .

حملق « جمعة » نحوى برعب وقد أدرك مقصدى ، وهتف فى صوت ملتاع : ماذا تقصد ؟

أجبته بهدوء : أنت تفهم ما أقصد تماماً .. لقد أردنا

الحصول على ثور لنلعب معه مصارعة الثيران .. وسوف يكون الثور فى حظيرة جدك العمدة بعد قليل .. وعلى ذلك فلم تعد هناك أى مشكلة .

صاح « جمعة » فى ذعر : لا .. هذا لا يمكن ..

قلت أهوّن عليه الأمر : إن المسألة بسيطة تماماً .. سوف نصارع الثور وبعد أن نهزمه نتركه وشأنه لكى يتفرغ لإنجاب العجول لأبقار العمدة .. ولن يعرف أحد بما جرى .

اعترض « جمعة » ثانية ، ولكننا تمكنا أنا و « سالم » من إقناعه فى النهاية .. فلا يمكن بعد ذلك الرقاد الطويل فى فراشنا أن نتجاهل لعبة طريفة ، حتى لو كان طرفها الثانى ثوراً سحرياً ، وحتى لو كان الثور فى حظيرة العمدة ، وحتى لو كنا قد أحرقنا الحظيرة من قبل ، وحتى لو كان العمدة قد هددنا بتعليقنا من أقدامنا فى رؤوس الأشجار إن اقتربنا من حظيرته ثانية .. كل هذه أمور تافهة تتضاءل بجانب متعتنا فى مصارعة الثور الموجود فى حظيرة العمدة .. ثم إننا صرنا

أصدقاء لقائد الشرطة ولبعض الشخصيات المهمة ، والعمدة يحترم دائماً الشخصيات المهمة وأصدقاءهم كذلك ، ومن ثم كان مؤكداً شكره لنا والإطناب فى مدحنا ، حتى لو أحرقنا حظيرته ثانية !

قال « جمعة » بقلق : ولكن .. ألا يمكن أن نسحب الثور بعيداً عن حظيرة جدى العمدة ونهزمه فى مكان آخر ، ثم نعيده إلى الحظيرة بدون أن يرانا أحد ؟

وفكرنا لحظة ، كان الاقتراح وجيهاً ، فحتى لو انكشف أمرنا فإن العمدة لن يستطيع أن يعاقبنا ما دمنا لم نصارع الثور فى حظيرته ، فالثور ليس ثوره على أية حال ، ويمكنه أن ينجب له ما شاء من العجول بعد أن ينهى مباراته معنا !

واعترض « جمعة » بقلق : ولكن .. ألا يمكن أن يرفض الثور فينطحنا مثلاً ؟

رددت عليه : هذا أمر مستبعد ، ألم تر كيف كان يسير خلف تلك العجوز الساحرة « سليمة » ، لقد سحرته وجعلته يفقد القدرة على النطح .. إنه « هيئة »

ثور وليس بثور حقيقى ، وهو لن يعترض على أى شىء نقترحه عليه .

وبردى حُلت المسألة تماماً وصارت أسهل ما يكون .. مثل تسلق جميزة العمدة واقتراض بضعة ثمرات منها ، قبل أن يبيعها بالواحدة !

قال « سالم » : سوف آتى بمشابك غسيل والدتى لنغرزها فى بدن الثور ، وبعد أن نهزمه سأعيدها إليها .

قلت له : سوف تشكرك والدتك على ذلك ، لأن المشابك بعد أن تُرشق فى بدن الثور ستصير أكثر قوة لأنه ثور سحرى .. ومن ثَمَّ ستتحول المشابك أيضاً إلى مشابك سحرية !

تساءل « جمعة » : والراية الحمراء ؟

قلت باسماً : سآتى بها أيضاً .. أنتما تعلمان أننى أشجع النادى « الأهلى » ، وأى مشجع أهلاوى لا بد أن يحتفظ براية حمراء فى دولابه ، وإلا كان مشكوكاً فى انتمائه الرياضى !

وكانت بالفعل لدىَّ راية حمراء ، كانت فى الأصل ملاءة لفراشى ، وعندما تمزقت صنعت منها راية لتشجيع النادى الأهلى ، وهكذا كنت أقضى أوقات المباريات فى تشجيع نادىَّ المحبوب ملوحاً بالراية الحمراء هاتفاً بأعلى صوتى : أهلى .. أهلى .

كان ذلك قبل أن يتعطل تليفزيوننا فحرمنى من تشجيع النادى المفضل ، ملوحاً بالراية الحمراء وأنا جالس أشاهد مبارياته فى منزلنا !

ولهذا لم يكن هناك بأس من استعارة الراية الحمراء لمصارعة الثور ، وبعد ذلك تعود لممارسة مهمتها العادية ، وربما تحصل على قوة سحرية تجعل النادى الأهلى لا يهزم فى مباراة بعد ذلك ، خاصة من نادى الزمالك !

اتفقنا على كل التفاصيل ، واندفع « سالم » ليأتى بالمشابك ، وأسرعت نحو منزلى لإحضار الراية الحمراء ، على حين انطلق « جمعة » إلى حظيرة جده

العمدة ليتأكد من وصول الثور إلى الحظيرة ، وأنه جاهز لمصارعتنا .

كنت أشجع النادى الأهلى براية حمراء .. أمام التليفزيون !!

هل شاهد أحدكم ثوراً .. بنظارة طبية ؟

اقتربنا فى حذر من باب الحظيرة . وكان الباب مغلقاً من الداخل ، ولم يكن هناك أحد بجواره . وتسلل « جمعة » إلى سور الحظيرة وتسلقها مثل قرد أصيل وقفز إلى داخلها ، وبعد لحظة سمعنا صوت المزلاج الخشبى وهو ينزاح من مكانه فأسرعنا داخلين .

كانت الحظيرة كما دخلناها من قبل .. هى هى لم يتغير فيها شىء سوى الأبقار التى سلخت جلودها ، والماعز التى احترق شعرها ، والحمار الذى شوى ذيله ، وآثار الحريق على الجدران .

وعندما شاهدنا الحمار ندخل متسللين ، كف عن التهام ما أمامه من تبن واستدار نحونا بعيون واسعة ، مكشراً عن أسنانه فى تهديد بليغ بأننا إذا ما حاولنا الاقتراب منه ، فإنه سوف يواجه ذلك الاعتداء على الفور ويرد بالطريقة المناسبة !

وأخذ يرفس بقدميه إلى الوراء ليرينا عينة مما سنواجهه إذا ما فكرنا فى الاقتراب منه ثانية !

ولكننا لم نقصده هذه المرة .. كنا نقصد حيواناً آخر .

وكان الثور راقداً فى ركن الحظيرة وأمامه كمية من البرسيم ، أخذ يلتهمها فى تلذذ وكسل ، على حين كانت الأبقار تتطلع إليه فى ريبة وشك ، ولعلها كانت تتساءل كيف سيجعلها هذا الثور الكسول تنجب عجولاً وهو حتى لم يتعارف عليها بعد ؟

حللنا رباط الثور الذى كان يشده إلى وتد فى الأرض ، وربتنا على ظهره بطريقة لطيفة ، ولكنه

حتى لم يتفضل بالنظر إلينا ، بل واصل التهام البرسيم كأن شيئاً لا يشغله فى العالم سواه !

ربتنا عليه ثانية بلا فائدة .. وصحت فيه : هيا انهض أيها الثور .

ولكنه حتى لم يسمعنى ، وصاح « سالم » فيه مهدداً : هل ستنهض وتغادر الحظيرة أم أجذبك من قرنيك ؟

ولكن ذلك التهديد لم ينفع أيضاً .

وصحت فيه : سأركلك إن لم تنهض .

وركلته بالفعل ، ولكن حتى الركلة لم تجعله ينصرف عما يفعله .. كان يبدو ثوراً غبياً بليداً ، ولا شك أنه كان فى الأصل حماراً غبياً كسولاً .. ربما أغبى وأكسل حمار فى العالم ، قبل أن تحوله « سليمة » الساحرة إلى ثور .. وكانت ملامحه ناطقة بتلك الحقيقة وفشلت كل محاولاتنا لجعله يهتم بنا ، وحتى بأن يلقى علينا نظرة اهتمام .

– هه .. إنه لا يريد أن يتحرك . قال « سالم » بيأس .

وقلت بلهجة الخبير : دعوه لى فإننى أعرف طريقة مؤكدة لدفع النشاط فى الحيوانات الكسولة بكافة أنواعها .

واقتربت من مؤخرة الثور الذى لم يهتم بى على الإطلاق ، على حين أخذ الحمار ينهق كأنه يحذر الثور مما يُراد به .. فصحت فى الحمار : اخرس أيها الغبى .. إنه ذيله هو لا ذيلك أنت !

كف الحمار عن النهيق وراقبنى بعيون واسعة ملتمعة . وأمسكت بذيل الثور ولكنه لم يحس بى ، وهتفت فى ذلك الغبى البليد : الآن ستستعيد نشاطك أيها الكسول .

وثنيت ذيل الثور بقسوة وبكل ما تملك يداى من قوة . وفى الثانية التالية ، أو قل فى الجزء الثانى أو الثالث من كسور الثانية ، فجأة قفز الثور وهو يخور بقوة رهيبة اهتزت لها جدران الحظيرة ، واندفع

كالمجنون ماداً قرنيه للأمام مثل قذيفة صاروخية عابرة للقارات .

اندفع الثور للأمام فاصطدم بسور الحظيرة فى صوت مدوّ واخترق قرناه السور ، فظننا أنه سيسقط ميتاً ، أو حتى يتكسر قرناه لشدة الصدمة ، ولكنه تراجع للخلف وهو لا يزال يخور ويهدر بدون أن يصيبه أى أذى ، واندفع مرة أخرى بنفس السرعة يطارد الأبقار التى أخذت تخور فى رعب هاربة من أمامه ، واستدار الثور المجنون هذه المرة تجاه الحمار .. واندفع نحوه شاهراً قرنيه كما سيوف التتار .

ونهق الحمار واندفع هارباً ولكن قيود قدميه منعته من ذلك ، وفى الحق أشفقنا عليه – الحمار لا الثور – ونحن نراه يطير فى الهواء من الخبطة ، ثم وهو يهبط فوق الأرض مثل شوال ذرة لا يقدر على الحركة كأن قاطرة صدمته .

وساد الصخب والضجيج فى المكان .. وأصابنا رعب شل أطرافنا ونحن لا ندرى ما نفعل .. وكانت

أولى قواعد السلامة تقتضى منا أن نبادر بالهرب .. ولكن حتى تلك القاعدة غابت عنا لشدة رعبنا .. إذ لم يكن يدور بخلدنا أن ذلك الثور المهذب اللطيف يمكن أن ينقلب إلى مثل هذه الشراسة ، لمجرد أن شخصاً قد ثنى ذيله بطريقة غير ودية !

وتلفت الثور وهو يخور فى كل اتجاه .. فوقعت عيناه علينا .

ومثلما تفعل القاطرة قبل أن تنطلق من محطتها .. أو مثلما تفعل الطائرة النفاثة قبل أن تندفع فى الفضاء .. أو مثلما تفعل القذيفة قبل أن تنطلق من ماسورة مدفعها ..

خار الثور بقوة أكبر ومد رأسه مشرعاً قرنية للأمام مثل محاربى العصور الوسطى .. ثم انطلق نحونا . وبصيغة أكثر تحدياً .. انطلق نحوى أنا بالذات !!

صرخت رعباً وانطلقت هارباً خارج الحظيرة .. وكان الثور خلفى على مسافة متر واحد لا أكثر ، ولو أننى توقفت لحظة لمحاولة شرح المسألة كلها له ،

أو حتى لالتقاط أنفاسى ، لكان مصيرى التعلق مدلياً من قرنيه ، وحصولى على خرمين بديعين فى صدرى أو بطنى !

انطلقت أعدو صارخاً والثور خلفى يهدر كالدبابة . رحت أجرى وأجرى وذلك الثور الرهيب يطاردنى كما لو كان بى مغناطيس يجذبه نحوى .. وتعثرت فسقطت فوق الأرض ، وقبل أن يغرز الثور قرنيه فى جسدى ، قفزت بسرعة وواصلت هربى وهو خلفى .

وجاء صوت « سالم » من الوراء صارخاً : ألق الراية الحمراء يا « علاء » .. إنه يطاردك بسبب لونها الأحمر .

وتنبهت إلى تلك الحقيقة فألقيت الراية الحمراء من يدى وانطلقت أعدو بأسرع ما يكون .. آملاً أن يكف الثور عن مطاردتى ، ولكنه ظل يطاردنى ويخور خلفى وهو يكاد يمس ظهرى بقرنيه .

وانتبهت فى تلك اللحظة ، وفى تلك اللحظة فقط ،

إلى أننى أرتدى قميصاً أحمر ، بلون دموى ، لا شك أنه سيصير أكثر دموية عندما تسيل دمائى فوقه بفعل قرنى الثور !

كان الأمر مينوساً منه ، وأوشكت أن استسلم لذلك الثور . عندما برز « سالم » من أمامى فجأة ممسكاً بالراية الحمراء فى يده ، وهو يلوح بها أمام الثور .

وعرفت على الفور أنه يريد إنقاذى بتشتيت انتباه الثور ، ولذلك أسرع بالتقاط الراية الحمراء واندفع نحونا فى اتجاه مختصر ليواجه الثور ويبعده عنى .

وصرخ « سالم » وهو يلوح بالراية الحمراء فى وجه الثور : ها .. هنا .. هنا أيها الثور الغبى ..

حدث ذلك فى اللحظة التى ظهرت فيها أمامى بركة طين ، فأسرعت ألقى نفسى فى قلبها غير عابىء بأى شىء آخر !

وتوقف الثور لحظة أمام الراية الحمراء .. ثم غيّر اتجاهه نحو « سالم » !

وصرخ « سالم » فى رعب وانطلق يجرى والثور خلفه فى مطاردة مرعبة ، وأخذت مشابك الغسيل تتساقط من جيوب « سالم » واحداً وراء الآخر فى جريه المذعور ، ونحن الذين أردنا شبكها فى بدن الثور ؟

ومن بعيد شاهدت الثور يكاد ينطح « سالم » بقرنيه فصرخت فيه : ألقِ الراية الحمراء يا « سالم » .

وتنبه « سالم » إلى نفس ما كان قد طلب منى أن أفعله ، فألقى الراية الحمراء بعيداً .. ولكن الثور ظل على انطلاقه خلفه !

ولا شك أن « سالم » قد تنبه لحظتها إلى أنه يرتدى بنطلوناً أحمر ، كان خلعه سيستغرق وقتاً ، والثور لن ينتظر على أية حال !

وكان الأمر بحاجة إلى معجزة لإنقاذ « سالم » .

ولكن المعجزات تحدث أحيانا برغم ندرتها هذه الأيام .. وكانت المعجزة هى تلك الشجاعة التى حلت

على « جمعة » فجأة - إذ كان « جمعة » مشهوراً بأشياء كثيرة ، ليس من بينها الشجاعة على الإطلاق - حدثت المعجزة عندما اختطف « جمعة » الراية الحمراء واندفع نحو الثور ليشغل انتباهه عن « سالم » .. وفى الحقيقة فقد كادت عيناى تدمعان لهذا الوفاء النادر من « جمعة » ، وأخذت قسماً بينى وبين نفسى ، فإن نطح الثور « جمعة » فسوف أذهب إلى قبره - قبر « جمعة » لا الثور - لأضع وردة حمراء فوقه ، وأكتب بنفسى اللوحة التى ستُعلق فوق قبره ، وأخط عليها : « هنا يرقد « جمعة » الذى واجه الثور بشجاعة منقطعة النظير وانتصر عليه ، وإن لم يتسع له الوقت للاحتفال بذلك النصر ، لانتقاله إلى الرفيق الأعلى » .

انطلق « جمعة » نحو الثور صارخاً فيه : ها .. هنا أيها الثور .. لو كنت شجاعاً واجهنى أنا !

ولكن الثور لم يُخدع هذه المرة ، وظل على إنطلاقه وراء « سالم » .. واندفع « جمعة » نحوه صارخاً :

واجهنى أيها الثور الجبان .. لا تهرب من مواجهتى وكن شجاعاً مثلى !!

ولكن حتى هذا السباب لم يؤثر فى ذلك الثور الغبى .. وهنا لم يكن أمام « جمعة » - ويا لشجاعته - مفر من أن يفعل ما كان يجب ألا يفعله أبداً !!

ففى اللحظة التى كاد الثور ينطح فيها صديقنا « سالم » بقرنيه ، قفز « سالم » نحو كوم روث الأبقار وسقط فى قلبه تماماً .. وهى نفس اللحظة التى جذب فيها « جمعة » ذيل الثور وثناه بشدة !

واستدار الثور نحو « جمعة » وهو يخور بجنون وقد تضاعف غضبه أضعافاً .. واندفع خلف « جمعة » كطلقة رصاص .

انطلق « جمعة » يجرى بسرعة الريح ، وكان هذا مشهوراً عنه ، وهناك قول مأثور فى هذا الصدد يقول : إذا لم تهزم « جمعة » فى سباق المائة متر ،

فإنه لا أمل لك فى المنافسة على بطولة العالم فى الجرى .

ولكن يبدو أن ذلك الثور لم يسمع بهذا القول .. أو لعله كان يريد تحطيم تلك المقولة ، أو ربما كان يريد أن يثبت « لجمعة » أنه أحق منه ببطولة العالم فى الجرى !

ومن هنا كانت انطلاقته خلف « جمعة » .. وكان واضحاً أن الثور يعرف ما يريد تماماً ، وأنه واصل إليه حتماً بفضل قرنيه الرهيبين ، وعندئذ سيكون الحساب بينهما رهيباً !

وصرخت فى « جمعة » : ألق الراية الحمراء يا « جمعة » .

وطوح « جمعة » الراية الحمراء ، ولكن الثور ظل على اندفاعه خلفه ، وكان هذا عجيباً ، فالثيران لا تطارد إلا اللون الأحمر ، وكان « جمعة » يرتدى قميصاً أزرق وبنطلوناً أبيض اللون ، فعلام يطارده

لوح سالم أمام الثور بالراية الحمراء

هذا الثور الغبى الذى لا يدرك أصول المطاردة ؟

واكتشفت الحقيقة المذهلة .. كان الثور يطارد أذنى « جمعة » . أذنيه المحمرتين تماماً كالجزرة أو الطماطم .. كان هذا ما يندفع الثور خلفه يريد نطحه !

وكان هذا أمراً يؤسف له ، إذ لم يكن باستطاعة « جمعة » انتزاع أذنيه وإلقاؤهما بعيداً لصرف انتباه الثور عنه !

وكان لا بد من وقوع ما طال انتظاره والاثنان يندفعان خلف تل صغير ويختفيان عن الأنظار . ودوى على البعد صوت اصطدام رهيب ، وأغمضت عينىَّ كى لا أشاهد صديقى « جمعة » المخلص وهو يطير فى الهواء أسرع من كل سفن الفضاء باتجاه القمر أو المريخ ، بعد أن صدمه الثور بقرنيه صدمة سحرية ، لم يكن هناك شك فى مدى تأثيرها على صديقنا « جمعة » .. الذى أصبح منذ تلك اللحظة « المرحوم جمعة » !

نهضت من بركة الطين وأنا أشعر برغبة شديدة فى

البكاء حزناً على صديقنا « جمعة » ، ولم أتمالك نفسى وأنا أغوص فى بركة الطين محاولاً الخروج منها فرحت أبكى هاتفاً : « جمعة » .. صديقى العزيز .. أى نهاية مأساوية كانت تنتظرك ؟

ومن الجانب الآخر كان « سالم » يخرج من كوم روث الأبقار والقاذورات وكان يبكى أيضاً ، ولكن بكاءه كان ولا شك بسبب الروث الذى ملأ أنفه وعينيه أكثر من بكائه على مصير « جمعة » !

وانطلقنا نعدو نحن الاثنين نحو المكان الذى اختفى خلفه « جمعة » والثور .

اندفعنا نجرى بكل قوتنا ، وصحت فى غضب من وسط دموعى : سوف أقتل هذا الثور المجرم عقاباً على ما فعله بصديقى « جمعة » .. يا « لجمعة » المسكين !

وكان « سالم » يبكى أيضاً وهو يقول : يا « لجمعة » المسكين ، لو أن القدر انتظر إلى أن يحقق مستقبله فى أن يكون حاوياً .. إذن لهان الأمر .

أكملت أنا من وسط دموعى : نعم .. إن هذا يضاعف حزنى .. ويضاعف كراهيتى لهذا الثور المجرم .. أقسم لأقتلنه وإن كان له ألف قرن لا قرنان فقط .

واندفعنا ندور خلف التل الصغير الذى اختفى الثور خلفه عندما صدم صديقنا « جمعة » .

ووقفنا لاهثين عندما وقع بصرنا على المشهد العجيب الذى تبدّى أمامنا ..

كان الثور السحرى واقفاً يترنح إلى الخلف والأمام بطريقة غريبة كأنه يقوم برقصة سحرية على روح « جمعة » . وكان منظر الثور غريباً ، فقد كانت رأسه خلواً من قرنيه اللذين اختفيا فى مكان ما ، لعله جسد « جمعة » !

وصرخت متألماً : يا « لجمعة » المسكين .. لقد انغرز القرنان فى جسده قبل أن يطير بهما .

وأوقف صياحى صوت جاء من مكان ما يقول : إننى هنا .. أنا حى لم أمت .

انتبهنا بدهشة .. كان صوت « جمعة » .. وتلفتنا حولنا .. لم يكن له أى أثر . فهل كان باستطاعته إيصال صوته من المريخ إلينا ؟

وجاء صوت « جمعة » ثانية : أنا هنا .. فوق الشجرة !

وكانت هناك شجرة جوافة أمامنا .. شجرة كبيرة طالما استعرنا ثمراتها خلسة ، ولكنها كانت تترنح فى هذه اللحظة لسبب ما وكأنها موشكة على السقوط .. تماماً مثل الثور الذى خشينا من الاقتراب منه وهو يترنح بطريقة عجيبة ، فلعله كان يخدعنا ليقتنصنا صيداً سهلاً ، فهو يبدو ثوراً ماكراً !

وقفنا لحظة ذاهلين عاجزين لا ندرى ما يدور حولنا . وتساءل « سالم » موجهاً صوته للشجرة : ألم تمت يا « جمعة » .. ألم ينطحك الثور ويقتلك بقرنيه ؟ وجاء صوت « جمعة » من الشجرة يرد : لا .. لقد أسرعت وتسلقت الشجرة التى نطحها الثور فتكسر قرناه قبل أن يؤذينى .

وضح الأمر لنا .. إذن فـ « جمعة » لم يمت ، بل إنه يختبىء فوق الشجرة داخل أغصانها . أما هذا الثور فلم يكن ثوراً مسحوراً ، بل مجرد ثور غبى بليد كأى ثور يندفع لينطح شجرة بدلاً من أن ينطح من ثنى ذيله !!

اندفعنا إلى الشجرة وقد آمنا شر الثور الذى لم يشعر حتى بوجودنا ، إذ أنه ظهر أمامنا كما لو أنه يعيش فى عالم ضبابى ، وهو لا يكاد يستطيع الوقوف على أقدامه أو يرى شيئاً أمامه !

وجدنا « جمعة » مختفياً بأعلى جزء فى الشجرة فهللنا فى سعادة ، وقفز « جمعة » من مكانه فأسرعنا نحوه واحتضنّاه بشوق ولهفة ، وأخذنا نقبله أنا و« سالم » .

وقال « جمعة » مفاخراً : هل رأيتمانى وأنا أطارد هذا الثور الجبان وأدفعه لكى يصطدم بالشجرة وأكسر قرنيه ؟

قلت مؤيداً : لقد كنت رائعاً يا « جمعة » .. من سوء الحظ لم يكن لدىّ كاميرا لتصوير هذا المشهد .

قال « جمعة » مفاخراً : أنتما شاهدان على ما حدث ، وستقصان على أهل القرية كلهم نبأ بطولتى .

قال « سالم » وهو يشعر بالاشمئزاز من نفسه لبقايا الروث ورائحته فوق ملابسه : هيا بنا ، إننى أريد أن أغطس فى البانيو ولا أخرج منه قبل يومين .

أشرت إلى الثور المترنح وقلت متسائلاً : والثور .. هل سنتركه ؟

رد « جمعة » بذعر : لا طبعاً .. علينا أن نعيده إلى مكانه فى حظيرة جدى وإلا ساءت الأمور عند اكتشاف اختفائه .

قلت بسرور : لقد انتصرنا عليه ويجب أن نعيده إلى مكانه بالطبع .. ألم أقل لكما أن مصارعة الثيران مسألة سهلة تماماً مثل تقشير برتقالة !

واتجهت نحو الثور ، وكان يبدو مثل حمل لطيف فقلت له : هيا أيها الثور .. اتبعنا .

ولكن الثور لم يلحظنى ، وكان ينظر للسماء كأنه

يعد نجومها برغم أن الوقت كان ظهراً ..

قال « سالم » بقلق : أظن أنه فقد بصره .

قلت محتجاً : لقد فقد قرنيه لا عينيه .

التقط « سالم » قرنى الثور المكسورين وقال : أصل الرؤية لديه مرتبطة بوجود قرنيه ، وعندما تكسَّر القرنان صار أعمى !

هرش « جمعة » فى رأسه بقلق وقال : هل تظنان أن فقد قرنى الثور سيؤثر فى قدرته على إنجاب عجول .. إن هذا سيغضب جدى حتماً ، فقد دفع جنيهين مقدماً لأجل ذلك!!

كانت المسألة مقلقة فعلاً ، وكان مما يستدعى القلق انكسار قرنى الثور ، فحتى لو أعدناه إلى الحظيرة بدون أن يرانا أحد ، فسوف يكتشف الجميع انكسار قرنيه ، ولابد أنهم سيعرفون بطريقة ما أننا صارعنا ذلك الثور وكسرنا قرنيه .. ولا يمكن بالطبع إعادة قرنى ثور مكسورين إلى مكانهما ، كما أن الثيران لا تنبت لها قرون مرة أخرى كأغصان الأشجار .. وأيضاً لن

يستطيع أحد تعويض الثور عن فقد بصره ، وهل سمع أحدكم يوماً عن ثور ارتدى نظارة طبية ؟

تلفتنا حولنا بقلق وتساءل « سالم » : وما العمل الآن ؟

تناولت القرنين المكسورين مفكراً فى أننى لا بد أن أحتفظ بهما ذكرى لذلك الانتصار .

وقلت لرفيقيَّ : يجب إعادة الثور إلى الحظيرة ، وما دام أحد لم يرنا فلا يمكن لأحد أن يتهمنا بشىء ما .. ونحن لم نقصد كسر قرنى الثور على أية حال ، ثم ما قيمة القرون بالنسبة لأى ثور ؟

هز « سالم » قائلاً : معك حق .. هيا بنا .. لنربط هذا الثور من رأسه ونسحبه خلفنا ونعيده إلى حظيرة العمدة بدون أن يرانا أحد .

وعثرنا على حبل قريب ربطنا به رقبة الثور الذى انقاد لنا كقط أليف . كان ثوراً عاقلاً ولا شك فتقبل هزيمته بروح رياضية تماماً . وبدأنا فى سحبه خلفنا

ونحن نشعر بالزهو - وأى زهو - بعد أن صارعنا ثوراً حقيقياً وانتصرنا عليه ، بل وحصلنا على تذكار لذلك الانتصار ، قرنى ثور حقيقيين !

ولكننا لم نمض بعيداً ، فقبل أن نتحرك عشر خطوات شاهدنا جمعاً كبيراً من الأهالى يتجهون نحونا ، وكان عددهم يربو على عدد سكان قريتنا ، وكان واضحاً فى المقدمة جدتى ووالدة « سالم » وجد « جمعة » .. العمدة .. وأمام الجميع كانت « سليمة » صاحبة الثور .. الساحرة العجوز !

كانت المفاجأة مذهلة لنا .. ولابد أن أهل القرية اكتشفوا المسألة بطريقة ما .. وهنا لا بد أن أقول إن ما جرى عصر ذلك اليوم يذكرنى بحادثة أخرى جرت فى ظروف مشابهة .. سواء فى أحداثها أو ما ترتب عليها من نتائج .. وكان ذلك فى العام الماضى .

وللمصادفة الغريبة كان ما جرى قد جرى خلال عطلة منتصف العام المدرسى أيضاً ، وكانت الحادثة هى أولى مغامراتنا وأطلقنا عليها اسم حكاية « البيضة

الذهبية » ، ومن ثم وجب قصها عليكم لتعرفوا أنه لا ذنب لنا فيما جرى ، وأن المسألة كلها ليست إلا حظاً سيئاً يأبى إلا أن يطاردنا ، بالرغم من أهدافنا النبيلة !

حكاية البيضة الذهبية

كنا راقدين عصر ذلك اليوم من الشتاء الماضى ، تحت أشعة الشمس اللذيذة الدافئة فوق بقعة خضراء خارج قريتنا ، وهناك عدد من الأبقار تلتهم الأعشاب حولنا ونحن نتسلى بعدّ الذباب الذى يحوم فوق رءوسها ، إذ لم يكن هناك أمامنا شىء آخر نتسلى به .. فكلب الحراسة طاردناه مدة ساعة كاملة حتى أقنعناه باعتزال عمله بسبب ما ناله من ضربات وتصويبات محكمة لكل ما وصلت إليه أيدينا ، من طوب وزلط وعلب فارغة بحيث آثر السلامة ولو مات

جوعاً ، مع عدم التواجد فى دائرة قطرها عشرة كيلو مترات نكون نحن فى مركزها !!

أما الأزهار النامية قريباً منا فقد انتزعناها واحدة وراء الأخرى ، ولما لم تكن لها رائحة أو فائدة ما فقد ألقيناها أمام الأبقار لتلتهمها عسى أن يخفف ذلك من رائحة روثها الكريهة .. وحتى الجرار الذى كان يقوم صاحب الأوض بحرثها بواسطته ، رحنا نتقافز فوقه ونعبث به ، ولم نتركه إلا بعد تأكدنا من أنه لن يدور مرة أخرى ، حتى لو جاء مخترعه نفسه لإصلاحه !

وهكذا تلفتنا حولنا فاكتشفنا أنه لم يعد هناك شىء آخر حولنا للتسلية ، فرقدنا فوق الأرض العشبية ، كما لو كنا ثلاثة كلاب صغيرة كسولة لا تجد ما تفعله !

ولسبب ما نهض « جمعة » من رقدته وارتعشت أذناه الطويلتان قبل أن يقول لنا : هل أخبركما عن سر ؟

وما كادت كلمة « سر » تصل إلى مسامعنا حتى

قفزنا أنا و« سالم » نحوه وقد أخذتنا إثارة شديدة ، وهتفت به : أى سر يا « جمعة » .. انطق بسرعة .

وسأله « سالم » بلهفة : هل تعرف من الذى سرق جلباب العمدة من منزله ليلة أمس ؟

– أو من استولى على حلى زوجة شيخ الخفراء ؟

– أو من يسرق الدجاج من حظيرة أم حليمة ؟

ولكن « جمعة » هز رأسه قائلاً : لا .. إن السر الذى أعرفه أهم من كل هذه الأشياء الذى ذكرتموها .. إن السر يتعلق ببيضة ذهبية .

– بيضة ذهبية ؟

نطقنا أنا و« سالم » فى استغراب شديد ، كنا قد سمعنا عن البيضة الذهبية فى الحكايات ، ولكننا لم نعرف أن لها وجوداً حقيقياً .

اقترب « جمعة » أكثر وتلفت حوله بحذر كأنه يخشى أن يسمعه شخص ما ، ثم قال هامساً : توجد فى قريتنا بيضة ذهبية .. وأنا أعرف مكانها .

تصاعدت إثارتنا حتى بلغت ذروتها ، وطار الكسل من عقولنا على الفور .

وصحت فى « جمعة » : وأين هى يا « جمعة » ؟

ولكن « جمعة » عاد يسترخى فوق العشب وهو يقول : هذا سر !

وكان الأمر أكبر من أن نتجاهله بلا شك ، فسرعان ما جذبناه أنا و« سالم » كل من إحدى أذنيه حتى أنه صرخ متألماً واحمرت أذناه كالجزرة .

– هل تعترف بالسر أم ننتزعهما لك ؟

صحنا مهددين له أنا و« سالم » ، ونحن لا نزال نجذب أذنيه بشدة .

قال « جمعة » متألماً : سأعترف .. سأعترف .

وتركنا أذنيه اللتين أخذتا ترتعشان ، كما لو كانتا أذنى أرنب يواجه سكين الجزار !

– أين هى ؟ سأله « سالم » بلهفة .

أجاب « جمعة » وهو يدعك أذنيه الطويلتين

المحمرتين : لن أخبركما عن مكانهما قبل أن توضحا لى المقابل الذى سأحصل عليه من إفشاء السر لكما .

– سأحل لك مسائل الحساب طوال العام . قال « سالم » بلهفة .

– وأنا سأتنازل لك عن قرشين من مصروفى لستة عشرة عاماً قادمة . قلت أنا بلهفة أشد .

– وسأتقدمك لأفتح لك باب سيارتك عندما تشتريها .

– وأنا سأنظف لك مقعدك من التراب .

– سأهش لك الذباب من فوق أذنيك عندما يحط عليه .

– وأنا سأفسح لك طريقاً وسط الجماهير المحتشدة لرؤيتك عندما تصير حاوياً مشهوراً .

وأخذنا نقدم إلى « جمعة » مزيداً من التنازلات المهمة حتى اقتنع تماماً ، ومرة أخرى تلفت حوله ، ولم يكن هناك حولنا غير الأبقار ، ولكنه برغم ذلك خفض

صوته وهو يقول : إنها هناك .. فى مزرعة « أم حليمة » .

وكنا نعرف « أم حليمة » أوثق المعرفة ، امرأة بدينة جداً حتى أنها عندما جاءت إلى مدرستنا ذات يوم ، انحشرت فى فتحة الباب ولم تستطع الخروج إلا بعد أن خلعوا الباب . ولكنها برغم ذلك كانت طيبة جداً ككل من هو بدين ، وكانت أرملة توفى زوجها وترك لها مزرعة صغيرة لتربية الدجاج ، وكان لديها ما يزيد عن ألف دجاجة وعشرات من الديوك ، وسواء كنت ماراً أمام المزرعة صيفاً أو شتاء .. صباحاً أو مساءً ، فستسمع الدجاج يكاكى والديكة تتصايح مما يقطع بأن كل فريق منهما يقوم بعمله خير قيام . وكانت « أم حليمة » تبيع البيض الذى تحصل عليه من دجاجها كل يومين ، بحيث لا يقل عدد البيض المباع فى كل مرة عن ألف بيضة ، وكان أغلب ثمن البيض يذهب فى شراء طعام الدجاج ، بحيث لا يتبقى سوى أقل القليل مما تنفقه « أم حليمة » على نفسها ،

ويتعجب البعض ويقولون إن « أم حليمة » تتحمل مشاق تربية الدجاج الذى لا عائد منه ، لأن الله حرمها نعمة إنجاب الأولاد ، فلم تجد ما تقوم بتربيته غير الدجاج !

وكان أعجب ما فى الأمر أن « أم حليمة » التى لا أبناء لها أو بنات ، يدعونها « أم حليمة » !

– هل قلت إن البيضة الذهبية فى مزرعة « أم حليمة» ؟

– نعم إنها هناك .. لقد شاهدتها بنفسى .

قلت أنا غاضباً :

– هذه المرأة الخبيثة تخفى بيضة ذهبية فى مزرعتها .. وأنا الذى كنت أظنها امرأة طيبة ؟

حكّ « جمعة » قفاه وقال : إنها لا تعرف شيئاً عن وجود البيضة الذهبية فى مزرعتها .. إن أحداً فى هذا العالم لا يعرف هذا السر سواى .

حملقنا فيه بدهشة ، وسأله « سالم » : وأنت كيف عرفت ؟

– هذا سر !

مرة أخرى قدمنا إليه مزيداً من التنازلات حتى قال : أمس مساء كنت ماراً من أمام المزرعة ، عندما شاهدت أحد الديوك يبيض بيضة ذهبية .

اعترض سالم :

– هل قلت أحد الديوك ، إن الديوك لا تبيض ولكنها تصيح فقط ثم تجرى خلف الدجاج بعد ذلك ، هذا هو كل ما تقوم به الديوك من عمل .

أجاب « جمعة » : وهل تظن أن الدجاج باستطاعته أن يبيض بيضة ذهبية .. إن مهمة الدجاج هى أن يبيض بيضاً عادياً ، أما الديوك فمهمتها أن تبيض بيضة ذهبية ، وإلا فما فائدتها فى المزرعة ؟

سأله « سالم » بلهفة : وكيف كان شكل البيضة الذهبية ؟

– كان شكلها كأى بيضة ذهبية أخرى !

– أعنى هل كانت كلها من الذهب ؟

– وهل تظنها من النحاس أو الفضة .. إنها من الذهب بالطبع .. وإلا ما كانوا أسموها بيضة ذهبية .. إنها عيار ٢٤ أيضاً !

– هذا مدهش جداً .

– مذهل تماماً .

– وكم تظن ثمنها يا « جمعة » ؟

– ليس أقل من مليون جنيه .

سألناه ذاهلين : مليون جنيه .. بيضة بمليون جنيه ؟

– إنها بيضة نادرة .. هل تظنون أنه توجد الكثير من الديوك التى تبيض بيضة ذهبية فى هذا العالم .. إنها قلة نادرة ولذلك ترتفع أسعار منتجاتها بشدة .. إن سعيد الحظ من يمتلك بيضة ذهبية فهى تجلب الحظ لصاحبها !

سألته مبهوراً : ولكن كيف حدث أن « أم حليمة » لم تشاهد هذه البيضة فى مزرعتها وتبيعها بمليون جنيه ؟

– وكيف ستعرفها وتميزها عن باقى البيض ؟

– ولكنك قلت إنها بيضة ذهبية وبالتالى فمن السهل تمييزها عن باقى البيض .

احتج « جمعة » : وهل تظن أن الديك الذى باضها من الغباء بحيث يكشف نفسه .. فهو عندما يبيضها تتحول قشرتها الذهبية إلى قشرة بيضاء فى لون قشرة البيض العادى .. وهذا هو السبب الذى منع « أم حليمة » من اكتشاف وجود البيض الذهبى فى مزرعتها !

قال « سالم » ذاهلاً : تصوروا .. بيضة ذهبية ثمنها مليون جنيه و« أم حليمة » تبيعها بعشرة قروش وربما أقل ؟

قلت متحمساً : يجب إخبار « أم حليمة » بذلك حتى تتنبه للبيض الذهبى فى مزرعتها .

اعترض « جمعة » : وهل تظن أنها ستصدقنا .. سوف يتهمنا الناس بالكذب إن أخبرناهم عن البيضة الذهبية ، وربما يكف الديك الذى يبيضها عن إخراج المزيد منها .

كان « جمعة » محقاً فى اعتراضه ، فإن الناس من الغفلة هذه الأيام بحيث لا يصدقون وجود بيضة ذهبية باضها ديك ماكر ، وكان من المستحيل علينا أيضاً أن نسكت على أمر كهذا .. إن المرء لا يسمع عن بيضة ذهبية كل يوم ، خاصة إذا كانت تجلب الحظ السعيد لمن يملكها ، وخاصة أيضاً إذا كان هناك من هو بحاجة إلى الحظ السعيد مثلنا !

وبرقت الفكرة فى ذهنى فقلت لهما : لدىَّ فكرة .. إن الجميع لن يستطيعوا تكذيبنا إذا ماحصلنا على البيضة الذهبية وأريناها لهم .

وافق « سالم » بحماس ، ولكن « جمعة » اعترض بقلق : ومن سيسمح لنا بالحصول على البيضة الذهبية ؟

قلت متحمساً شارحاً فكرتى : إننا لن ننتظر موافقة أحد ، فإن الأمر عندما يتعلق بالبحث عن بيضة ذهبية فإن الجميع يرفضون الأصغاء إليك إلا فى الحكايات .. من واجبنا أن نبحث عن البيضة بأنفسنا ثم نقدمها « لأم

حليمة » .. ولا شك أننا سننال مكافأة كبيرة على ذلك .. ربما نقتسم ثمنها مناصفة بيننا ، فنستطيع شراء رصيد من « العسلية » يكفينا حتى الانتهاء من دراستنا الجامعية !

اعترض « جمعة » مرة أخرى بقلق : ولكن ..

قاطعه « سالم » : ليس هناك لكن .. هيا بنا .. إن الواجب يُملى علينا العثور على البيضة الذهبية لمساعدة « أم حليمة » المرأة الفقيرة المسكينة ، قبل أن تبيع البيض غداً صباحاً ، وهى لا تدرى أنه توجد بينها بيضة ذهبية تنتظر من يبحث عنها ويعثر عليها .

حاول « جمعة » أن يعترض مرة أخرى ولكننا لم نستمع إليه ، وانطلقنا من فورنا إلى مزرعة « أم حليمة » .

راقبنا المكان متيقظين .. كانت « أم حليمة » فى داخل المزرعة المسورة من الخارج بالأسلاك ، وهى تجمع البيض لتضعه فى سلال صغيرة بين طبقات من

القش قبل حلول الليل .. والدجاج والديكة تتصايح وتتقافز هنا وهناك حولها كأنها تحتج على سلبها أملاكها الخاصة .

انتظرنا إلى أن غادرت « أم حليمة » المزرعة ودخلت إلى منزلها ، والذى كان يصله بالمزرعة باب مشترك .

وعندما حل الظلام تماماً تحركنا لأداء واجبنا فى البحث عن البيضة الذهبية .

حمنا حول المزرعة .. لم تكن هناك وسيلة للدخول غير الباب الرئيسى الذى يُفتح من الداخل ، فهى مسورة بالأسلاك من كل الجهات وترتفع جدرانها أكثر من أربعة أمتار .

واقترح « سالم » فكرة ذكية لدخول المزرعة ، وعلى الفور بدأنا فى تنفيذها ، فوقف « جمعة » أمام السور ، وقفز « سالم » فوق كتفه ، ثم تسلقتهما هما الاثنين ، فلمست أصابعى نهاية السور من أعلى ، وتشبثت به ثم قفزت إلى الناحية الأخرى فى قلب المزرعة فسقطت

فوق الأرض وسط طيورها ، وتصايح الدجاج وهو يهرب فى كل اتجاه بضجة عظيمة ، على حين اندفع ديكان شرسان نحوى محاولين نقرى ، كأنهما المكلفان بالدفاع عن المكان !

كانت سقطتى مؤلمة ولكننى أسرعت بالاختفاء خلف أحد الأركان . وانفتح باب المنزل وأطلت منه « أم حليمة » تستطلع سبب صياح الدجاج وهرجها .

وتساءلت « أم حليمة » بقلق : هل يوجد أحد هنا ؟

ولو تحركت خطوتين تجاهى لاكتشفت وجودى ، خاصة والقمر ينير المكان داخل المزرعة ، وتصببت العرق فوقى حتى ظننت أن السماء تمطر ، ولكن « جمعة » أنقذ الموقف عندما أخذ يقلد نباح الكلب من خارج المزرعة .

وقالت « أم حليمة » : إنه كلب .. لا بد أنه كان يحاول دخول الحظيرة وفشل .

وأمسكت بعصا طويلة وتقدمت من السور غاضبة :

تصايح الدجاج وهو يهرب فى كل اتجاه

ابتعد أيها الكلب وإلا جعلتك تندم ندماً شديداً ، فلا دجاج عندى لأقدمه طعاماً للكلاب !

كف « جمعة » عن النباح ، ومرت لحظة صمت و « أم حليمة » تتصنت ثم هزت رأسها فى رضا وهى تقول : هذا حسن .. لقد ابتعد خشية من عصاى .. صار المكان ممتلئاً بالكلاب هذه الأيام !

وعادت إلى منزلها وأغلقت بابه .

تنفست أخيراً الصعداء ، فلم يكن أحد يدرى ماذا يمكن أن يحدث لو أن « أم حليمة » اكتشفت وجودى فى حظيرتها ، وبالطبع فإنها لن تنتظر حتى تسمع حكايتى عن البيضة الذهبية ، بل كان من المؤكد أننى سأذوق عصاها الطويلة المخصصة للكلاب باعتبار أنه لا فارق بيننا .. بل ولعلها تتهمنى بأننى من يسرق دجاجها ، فيحكم علىَّ بالأشغال الشاقة المؤبدة أو الإعدام !!

وأسرعت إلى باب الحظيرة وفتحته ، وهمست : « جمعة » .. « سالم » .. اظهرا فالمكان آمن .

برز « جمعة » و « سالم » من خلف أحد الأشجار القريبة ، وتقدما متلصصين يبدو عليهما شيء من الخوف والتردد . وقال « جمعة » : ألا يمكننا أن نؤجل البحث عن البيضة الذهبية إلى يوم آخر ؟

شجعته قائلاً : لا تكن خائفاً .. هيا ادخل .

ودخل وخلفه « سالم » ، وأسرعنا فاغلقنا باب الحديقة من الداخل ، وكان علينا أن نعمل فى صمت وألا نحاول استثارة الدجاج ، وإلا كشف عن وجودنا مرة أخرى بصياحه .

وعلى مسافة وقف عدد من الديكة فى صف دفاعى متقدم عن بقية الدجاج ، وهم يرمقوننا بنظرات عدائية وأعرافها مشرئبة للأمام زادها الغضب احمراراً ، كأنها توشك أن تقذفنا باللهب .

همس « سالم » : دعونا نبحث عن البيضة الذهبية بسرعة ، فقد تخرج « أم حليمة » للاطمئنان على دجاجها مرة أخرى .

وافقته بهز رأسى وأشرت لهما ألا يُحدثا صوتاً .

واتجهنا إلى كوم السلال الممتلئة بالبيض وألقينا عليه نظرة فاحصة ، وقبل أن أمد يدى نحو أول سلة للبحث عن البيضة الذهبية سألنى « سالم » بقلق : ولكن كيف سنميز البيضة الذهبية عن بقية البيض الآخر .. لقد قال « جمعة » أنها تتشابه مع بقية البيض ، فكيف سنعرفها من وسط ألف بيضة ؟

تطلعت إليه مندهشاً ، فلم تكن تلك المسألة قد خطرت ببالى من قبل ، وشعرت بحيرة حقيقية ، فكيف سنعثر على البيضة الذهبية من وسط بقية البيض ما دام لا يميزها شيء عنه ؟

ثلاثة مخلوقات من المريخ

حكَّ « جمعة » مؤخرة رأسه ثم قال : لا بد أنها ستكون ثقيلة .. ثقيلة جداً فهى بيضة ذهبية .

اعترض « سالم » : لا أظن ذلك وإلا لاكتشفت « أم حليمة » أمرها منذ زمن .. فعندما يمسك الإنسان بيضة فى وزن زلطة أو طوبة سيتساءل على الفور عما بداخلها .

وافقته : معك حق .. إن البيضة الذهبية لن تكون ثقيلة بالطبع ، فالديك الذى باضها ليس من الغباء بحيث يُخرجها بوزن أثقل من البيض العادى ، وما دامت البيضة الذهبية تتحول قشرتها إلى اللون الأبيض

للتمويه ، فلا بد أن وزنها سيكون هو وزن البيضة العادية زيادة فى التمويه !

قال « سالم » بقلق : وما العمل الآن .. كيف سنعثر على البيضة الذهبية وسط كل هذا البيض ؟

مرت لحظات من التفكير العميق ، ثم بزغت الفكرة فى رأسى .. كانت فكرة سهلة بسيطة ، ككل الأفكار العظيمة .

قلت لهما : الأمر سهل جداً .. سنقوم بكسر كل هذا البيض واحدة واحدة والبحث فى قلبها حتى نعثر على البيضة الذهبية !

– ماذا ؟

احتج « جمعة » و « سالم » ذاهلين .

– ليس هناك حل آخر .. إن كان لدى أى منكما اقتراح أفضل فليتفضل به .

قال « جمعة » بقلق : ولكن هذا سيسبب خسارة كبيرة لـ « أم حليمة » .

قلت أطمئنه : سنعوضها هذه الخسارة بمائة مرة ، عندما نعثر على البيضة الذهبية ونتقاسمها معاً .. ما رأيكما ؟

وافق « سالم » بعد تردد قصير قائلاً : معك حق .. خسارة قليلة يعوضها مكسب عظيم .

وافق « جمعة » مضطراً وإن كنت قد لاحظت أن أذنيه احمرتا أكثر عن ذى قبل ، كأنهما مصابتان بالحمى .

وهكذا بدأنا عملنا وحولنا فريق من الديكة المتشككة يتقدم فريقاً من الدجاج الفضولى ، والجميع يراقبوننا أثناء أدائنا لمهمتنا .

بدأنا بالسلة الأولى ، وكان بها نحو خمسين بيضة ، وكسرت الأولى بخبطها فى الأرض فسال منها محّ أصفر مختلطاً بسائل لزج ، وبالطبع لن يمكنك أن تعثر على بيضة ذهبية من أول مرة .. وهكذا كسر « سالم » البيضة الثانية .. ولم يكن بداخلها أى بيضة ذهبية .. وكانت البيضة الثالثة التى كسرها

« جمعة » خلواً منها كذلك ..

وأخذ عدد البيض المكسور يتزايد بدون أن تظهر البيضة الذهبية ، إلى أن خلت السلة تماماً من البيض ، على حين تجمعت بقعة كبيرة من زلال البيض ومحها تحت أقدامنا .

قال « سالم » بقلق : لقد كسرنا خمسين بيضة .

وقال « جمعة » : ولم نعثر عليها بعد .

طمأنتهما : وهل تظنان أننا سنعثر عليها فى أول سلة .. إنها مختفية فى مكان ما داخل إحدى السلال الأخرى ، وكل ما علينا هو البحث عنها والعثور عليها .

وبدأنا مرة أخرى بالسلة الثانية .. لم يكن بها شىء أيضاً .. ولكن ذلك لم يؤثر فى حماسنا الذى كان يتصاعد مع كل بيضة مكسورة ، حتى وصل إلى حد الذروة ونحن نتسابق فى كسر البيض وكأننا فى مباراة ممتعة .

وتحول الأمر إلى تسلية عندما خطر لى وأنا ممسك بالبيضة الخامسة والعشرين فى السلة التاسعة ، بأن أكسرها فوق رأس « جمعة » بدلاً من أن أكسرها فوق الأرض كنوع من التسلية ولطرد الملل .

وفى التو فعلت ما فكرت فيه ، فأننى شخص لا يعرف التردد ، وهذا ما يميزنى عن الآخرين .. فإن الأعمال العظيمة تتطلب دوماً جرأة متناهية !

وفوجىء « جمعة » بما حدث ، وكان منظره مضحكاً والسائل اللزج الأصفر يسيل فوق جبهته ثم ينحدر ما بين عينيه وفوق أنفه ، كأنما أسقط طائر كبير مخلفاته فوق وجه « جمعة » !

وفى صمت أمسك « جمعة » بالبيضة السادسة والعشرين من نفس السلة وحطمها فوق رأسى ، فشعرت بشىء لزج يغوص بين شعرى ثم ينسال وهو يشق طريقه نحو قفاى ومن ثم داخل ملابسى ..

ركبنى غيظ شديد ، فأنا لا أكره أكثر من أن يحطم

شخص شيئاً ما فوق رأسى ، خاصة إذا سال من هذا الشىء المكسور شىء ما بمثل تلك الصورة .. وأمسكت بالبيضة السابعة والعشرين وكسرتها فوق رأس « جمعة » فبادلنى بالمثل ، رصحت به غاضباً وكسرت فوق رأسه بيضة ثالثة .. فصاح بى وقذفنى بمثلها .. واشتد غضبى فاختطفت سلة كاملة ورحت أصوّب ما بداخلها من بيض نحو رأسه وقفاه وأنفه بأسرع مما يفعل رماة السهام .. واختطف « جمعة » سلة أخرى وبدأ يفعل نفس الشىء .

وكان « سالم » مضطراً لحماية نفسه ولرد الاعتداء عليه ، عندما أصابته بيضة طائشة . وتحول الأمر إلى معركة صاخبة بيننا نحن الثلاثة والبيض يطير ويتراشق بيننا ، ونحن نتصايح ونصرخ مثل الهنود الحمر غير عابئين بكأكأة الدجاج وصياح الديكة الشديد الذى ساد المكان ، فقد أنستنا المعركة كل شىء آخر فيما عداها .

وفجأة ساد هدوء عظيم عندما انفتح باب منزل

صرخنا مثل الهنود الحمر ونحن نتقاذف البيض

« أم حليمة » وأطلت نحونا ذاهلة ، وهى تنظر لنا كأنها تشاهد ثلاثة مخلوقات عجيبة هبطت من المريخ داخل مزرعتها .

كان البيض المكسور يغطى ثلاثتنا بحيث لم يترك موضعاً فينا بدون أن يسيل فوقه ، واختلطت ملامحنا وتشوهت بحيث كان يستحيل على أحد التعرف علينا .

جمدنا فى أماكننا كالمشلولين .. وصرخت « أم حليمة » فى رعب هائل : عفاريت .. عفاريت .. وكانت صرختها إيذاناً لنا بالهرب .

واندفعنا نجرى كالمجانين نحو باب الحظيرة ، ولكننا تزحلقنا فى الأرض المغطاة بصفار البيض اللزج ، وجاءت سقطتى فوق أحد الديوك الغاضبة - ولعله صاحب البيضة الذهبية - فنقر أنفى نقرة مؤلمة قبل أن يشرع فى الفرار !

حاولنا القيام مرة أخرى فاختل توازننا .. كان كل شىء فى المزرعة يبدو لزجاً وقد تغطى بصفار البيض السائل .. ولم يطل الأمر بنا طويلاً ونحن نزحف فوق

الأرض محاولين بلوغ باب المزرعة ، عندما اندفع الخفراء والجيران الذين جاءوا على صراخ « أم حليمة » ليمسكوا بالعفاريت التى قامت بمهمة تكسير بيض المزرعة خير قيام .

وانكشف الأمر ونلنا عقاباً يرتجف له بدنى كلما تذكرته ، فقد ربطنا العمدة من أيدينا إلى شجرة عريضة وانهال بخيرزانة رفيعة فوق مؤخراتنا ونحن نصرخ ولا مغيث .

كانت الخسائر تسعة عشر سلة من جملة العشرين ، وتقاسم ثمنها جدتى ووالدة « سالم » وجد « جمعة » ، وحُرمنا من المصروف لمدة شهر كامل ، وتناقلت كل القرى المحيطة بقريتنا حكاية البيضة الذهبية باعتبارها من الطرائف والنوادر ..

لو أنهم فقط سمحوا لنا بالبحث عنها فى السلة العشرين ؟

***

الساحرة سليمة تتوعدنا !

وقفنا جامدين فى أماكننا من المفاجأة ، وحتى الثور المكسور القرنين توقف وهو يرمش بعينيه فى بلادة وغباء نحو سكان قريتنا القادمين نحونا .

وعندما هممنا بالهرب من الخلف برزت لنا مجموعة أخرى من الأهالى ، وقد أحاطوا بنا من كل جانب ، كأننا الأعداء وقد وقعنا فى شر أعمالنا ، أو كأننا ثلاثة ذئاب سقطت فى شرك ، وحان وقت قطع آذانها وذيولها !

كنا محاصرين تماماً فأسقط فى أيدينا ، ووقفنا ذاهلين لا ندرى ما نفعله .

واندفعت « سليمة » نحو ثورها مولولة : آه يا ثورى .. كسروا قرنيك يا ثورى العزيز .. إنك حتى لم تبدأ عملك بعد فى إنجاب العجول !

واندفعت جدتى نحوى غاضبة أشد الغضب ، وأمسكت بأذنى زاعقة : أيها الولد الصغير المشاغب .. كان من الممكن أن يقتلك هذا الثور .

وجذبت والدة « سالم » ابنها من أذنه أيضاً هاتفة : أيها الأحمق .. هل عدت إلى الأعمال المتهورة مرة أخرى .. ألم أمنعك من ذلك ؟

أما العمدة فاندفع إلى « جمعة » ورفعه من أذنيه - وكان هذا أمراً عجيباً للعمدة النحيف الضئيل وأيضاً لأن أذنى « جمعة » لم تنخلعا عنه ، أو أن جسده لم ينخلع عنهما - وراح « جمعة » يصرخ ويصيح مستغيثاً ، فاقترب منه الثور وأخذ يلعقه بلسانه فى ود شديد .. فيا له من ثور طيب متسامح .. كان هو الوحيد الذى وقف فى صفنا .. رغم أنه قد تكسر قرناه .. وليت الجميع كانوا يتعلمون منه شيئاً فى التسامح !

كان العمدة أشد الموجودين غضباً .. وكانت « سليمة » أشدهم ثورة وهى تصرخ قائلة : إنه لم يبدأ عمله بعد .. لقد اشتريته بألفى جنيه كاملة .. وها هو يصير ثوراً محطماً بلا قرنين فمن سيستأجره منى بعد ذلك ؟

قدمت لها القرنين عل ذلك يخفف من غضبها ، ولكنها قذفت بهما بعيداً صارخة : وهل تظننى سأدقهما فى رأسه وأثبتهما بالمسامير ، أم سألصقهما بالغراء ليعودا كما كانا ؟

وكان تساؤلها فى غير محله بالطبع ، إذ أنها بطرقها السحرية تستطيع أن تثبت القرنين فى رأس ثورها ، بل وتُنبت مكانهما شجرتين أو نخلتين لو أرادت . ولكنها أرادت أن تُظهر عجزها عن ذلك حتى يتضاعف عقابنا ، وأخذت تصيح فينا وتهدر بغضب كما لو كنا قد كسرنا قرنى زوجها لا ثورها !

واضطررنا إلى رواية القصة من أولها ، وحاولنا قدر الإمكان أن نبين للجميع أن هدفنا كان نبيلاً وأننا

أردنا إدخال رياضة جديدة إلى قريتنا ، وحيث إن الثور الوحيد كان فى حظيرة العمدة ، فمن ثم لم يكن هناك بد من استعارته !

ولكن العمدة انتفض زاعقاً - وكان يبدو غير محب للرياضة على الإطلاق ، خاصة مصارعة الثيران - وصرخ فينا : أيها الأولاد الخبثاء .. هذه ثانى مرة تقتحمون حظيرتى .. فى المرة الأولى تسببتم فى حرقها ، وهذه المرة تسببتم فى تحطيم جدرانها وإصابة الحمار بعاهة مستديمة ، بعد أن نطحه الثور فى مؤخرته !

لم تكن تلك النتائج الهامشية فى حسباننا بالطبع ، ولا ندرى لماذا يهتم بها الجميع ويتجاهلون النتائج الهامة ، فقد كنا ننتظر من الجميع أن ينظروا إلينا بعين التقدير ، باعتبارنا أول من أدخل مصارعة الثيران فى قريتنا ، وباعتبارنا أول من صارع ثوراً حقيقياً وهزمه ، بل وكسرنا قرنيه ، فأى بطولة قمنا بها ويتجاهلونها ؟

وكان العمدة لا يزال يصيح فينا غاضباً وقد امتلأ بيته بالأهالى عندما اندفع أحد الفلاحين صائحاً فى غضب : أين هؤلاء الأولاد الملاعين .. لقد تسببوا فى سقوط شجرة الجوافة فى أرضى بعد أن نطحها الثور .

ارتعدنا عندما سمعنا ذلك ، فلم يكن ينقصنا إلا هذا .. يتهمنا الجميع بكل الأخطاء .. فى حين أن الثور هو من نطح الشجرة بقرنيه فأسقطها وليس نحن ، فلماذا لا يحاسبونه هو على ما فعله ؟

وقالت جدتى لى متألمة : إنك لا تريد أن تتعلم أبداً .. قضيت أسبوعاً فى الفراش بسبب لعبك تحت المطر ولم تتعظ والآن كاد الثور يقتلك ؟

وكان من الصعب فى مثل تلك الظروف أن أشرح لها الغرض النبيل الذى أخرجنا الثور لأجله ، وأنه لو سارت الأمور سيراً جيداً لكانت تفتخر الآن بأنها جدة بطل من أبطال مصارعة الثيران ، وربما تظهر صورها فى الجرائد ويتجمع الصحفيون حولها ، وهى تحكى

لهم كيف دربت حفيدها ليصير بطلاً من أبطال مصارعة الثيران !

وصاحت « سليمة » : لا أريد هذا الثور .. خذوه وأعطونى ثمنه !

وكانت تقصدنا بالطبع ، ولكن حيث إننا لم تكن لدينا أى رغبة فى شراء أى ثور ، ولا كان فى حصالاتنا ما يكفى حتى لشراء صمغ للصق القرنين المكسورين ، لذلك تجاهلنا رغبتها كأننا لم نسمع شيئاً ، وربما كنا نفكر فى الأمر جدياً لو أنها عرضت علينا إهداءه لنا للتدريب عليه !

واندفعت « سليمة » غاضبة نحو العمدة ، وصاحت وهى تجذبه بيدها المعروقة : إنك المسئول عما حدث للثور ، لقد كان فى حظيرتك ، وعليك بدفع ثمنه .

ارتجف العمدة مثل ريشة فى مهب الريح ، وكان دائماً يرتجف عندما يسمع أحداً يطالبه بدفع أى نقود . واعترض قائلاً : ولكن ..

قاطعته « سليمة » هادرة : ستدفع ثمنه وإلا شكوتك

لقائد الشرطة ، ومن ثم يشكوك للمحافظ ، وأنت تعرف رأى المحافظ فيمن لا يحافظ على الأمانة المودعة لديه .. إنه قد يعيدك غفيراً كما كنت !

وارتجف العمدة أكثر ، وأكملت « سليمة » بصوت ملىء بالتهديد والوعيد : وأنت تعرف أيضاً ما أستطيع أن أفعله بكل من يغضبنى .

صار العمدة يرتعد فى هذه اللحظة كما لو كانت قد أخذته حمى حقيقية ، ولا شك أنه فهم تهديد « سليمة » له على الوجهة الصحيحة تماماً ، إذ كان باستطاعتها - إن لم يدفع لها العمدة ثمن الثور - أن تحوله إلى حدأة أو جرادة !

وهتفت به العجوز بصوت كالفحيح : ماذا قلت يا عمدة ؟

اصطكت أسنان العمدة بشدة كأنه يستحم فى ماء مثلج وهو يقول : سوف .. سوف أدفع .. ادفع لك .. ثمن الثور .

ابتسمت الساحرة العجوز ابتسامة تغضّن لها وجهها القبيح ، والتفتت نحونا وهى تقول : أما أنتم فلى شأن آخر معكم فيما بعد .

وحملقت فينا بعينيها المخيفتين المرعبتين كأنها تُرينا عينة مما سيلحق بنا من أذى ، فأخذنا نرتجف هلعاً .. إذ ليس من الأشياء المحبوبة أن ينقلب الإنسان ذبابة أو نملة !

وصاح العمدة فينا : لسوف أعاقبكم عقاباً ستتذكرونه إلى آخر عمركم .

واندفع نحوى ، ولكنى أسرعت فاحتميت بجدتى التى كشرت للعمدة عن أنيابها فتراجع قلقاً ، ثم اندفع نحو « سالم » ، ولكن إشارة غاضبة من يد والدة « سالم » التى احتمى بها أقنعته أن يبحث عن طريدة أخرى ، فاندفع نحو « جمعة » الذى لم يجد مكاناً يختبىء خلفه غير ثور « سليمة » الساحرة ، وكان العمدة فيما يبدو يخشى الثيران – وربما يفسر هذا عدم تشجيعه لرياضة مصارعة الثيران – فلم يجرؤ على الاقتراب من الثور

المكسور القرنين ، وأخذ يصيح مهدداً لنا جميعاً ، وهو واقف على مسافة آمنة منا !!

وصاحت جدتى فى العمدة غاضبة : كفّ عن تهديد الأولاد والصراخ فيهم أيها العمدة .. إن الخطأ خطؤك أنت ، لأنك تركت باب حظيرتك مفتوحاً فاندفع منها الثور وهاجم الأولاد .. أنت المخطىء لا هم !

قال العمدة محتجاً : أنا المخطىء .. إننى لم أترك باب الحظيرة مفتوحاً ، بل هم الذين تسللوا داخلها وفتحوها وأخرجوا الثور منها .. لقد اعترفوا بذلك .

صاحت فيه جدتى : لقد اعترفوا كذباً بسبب خوفهم منك .. انظر إليهم كيف يرتجفون من مجرد النظر إليك ، كيف يُعينون عمدة يخيف الأولاد بمثل هذه الطريقة ؟

وكنا نرتجف بالفعل ، لا خوفاً من العمدة ، بل من تهديد « سليمة » !

وكانت جدتى بارعة فى توضيح الأمر على وجهته

الصحيحة فقالت للعمدة : وعلى أى حال فقد كنت فى حاجة إلى ثور ، وها قد صار لديك ثور فليس غريباً أن تدفع ثمنه .

احتج العمدة : ولكنه بلا قرنين !

صاحت جدتى : هذا خطأ الشجرة التى وقفت فى طريقه لا خطأ الأولاد !

يا لها من بارعة جدتى ، لقد أوضحت فى جلاء ما عجزنا عن إيضاحه للجميع منذ وقت .. كان الخطأ خطأ الثور بالطبع لا خطأنا نحن ، ولذلك اندفع صاحب الشجرة المكسورة نحو العمدة مهدداً وهو يقول : هل ستدفع لى ثمن شجرتى أم أشكوك للمحافظ ؟

وهنا ظهر الغضب الشديد على وجه العمدة ، وظهر عليه أنه لم يعد يحتمل المزيد من المشاكل التى سببناها له .. وأنه على استعداد للتضحية ولو بشاربه فى سبيل التخلص منا !!

وفى نفس اللحظة دخل شيخ الخفراء المكان ، وما أن شاهده العمدة حتى صاح فيه وهو يشير نحونا : اقبض على هؤلاء الأولاد وضعهم فى السجن ، وأقسم أن أسجنهم عشر سنوات جزاء لهم على ما فعلوه .

واندفع شيخ الخفراء نحونا وعيناه تقدحان باللهب .. ورفع بندقيته فى وجوهنا صائحاً فى تهديد : هيا سيروا أمامى إلى السجن أيها المشاغبون .

تلفتنا حولنا فى رعب شديد .. ولكن .. لم يكن هناك أى مكان نهرب إليه .. وشيخ الخفراء يهددنا ببندقيته إذا حاولنا الهرب .. وربما يطلق علينا الرصاص ، ولم يكن أمامنا غير التسليم .. وراح شيخ الخفراء يدفعنا نحو حجرة السجن فى منزل العمدة .. وبندقيته مصوبة إلى رءوسنا .

مغامرات جحده وشركاه

قصص ومغامرات بوليسية فكاهية

الثور المسحور

- ترى ما هو سر الثور المسحور.. وأى شىء غير عادى كان يحيط بذلك الثور العجيب ؟
- ولماذا اندفع ذلك الثور فى مطاردة قاتلة خلف أبطالنا، علاء وسالم وجمعة.. وماذا كانت نتيجة تلك المطاردة ؟
- من هى الساحرة سليمة.. وما علاقتها بالثور المسحور.. ولماذا هددت أبطالنا بأن تمحوهم من هذا العالم ؟

اقرأ إجابة كل هذه التساؤلات داخل تلك المغامرة الممتعة .

● الناشر ●

ميدلايت

المحدودة